

دواب وغير ذلك فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها وقرأ ما فيها ثم يمضي إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدرهم ونوافج المسك وبيض العنبر وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه ولا لدوابه تسعة عشر يوماً وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم (نحو مليون جنيه) وأمر المأمون له عند انصرافه بعشرة آلاف ألف درهم وأقطعهم فم الصلح وأطلق له خراج فارس، وكور الأهواز مدة سنة. وهذا سرف عظيم سهل أمره الموارد الكثيرة.

### وفاة المأمون:

بينما كان المأمون ببلاد الروم في آخر غزواته وهو بالبندتون شمالي طرطوس أصابته حمى لم تمهله كثيراً وفي ١٨ رجب (سنة ٢١٨) أدركته منيته فحمل إلى طرطوس ودفن بها وكانت سنة إذ توفي ٤٨ سنة.

### ولاية العهد:

عهد المأمون وهو مريض إلى أخيه أبي إسحاق بن الرشيد ولم يخطفه خطأ من قبله بالعهد إلى اثنين وأوصاه بوصية مأثورة تقدم منها أشياء ومما جاء فيها (واعمل في الخلافة إذا طوقكها الله عمل المرید لله الخائف من عقابه وعذابه ولا تغتر بالله ومهله فكأن قد نزل بك الموت ولا تغفل أمر الرعية الرعية العوام العوام فإن الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمضفة لهم الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ولا ينهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلا قدمته وأثرته على غيره من هواك وخذ من أقويانهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم في شيء وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأنهم وعجل الرسالة عني والقدم إلى دار ملكك بالعراق وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت).

### ٨ - المعتصم

هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي بن المتصور وأمه أم ولد اسمها ماردة ولد (سنة ١٧٩) فيبينه وبين أخيه المأمون تسع سنوات وكان في عهد أخيه المأمون والياً على الشام ومصر وكان المأمون يميل إليه لشجاعته فولاه عهده وترك ابنه وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون ببلاد الروم بويع له بالخلافة ولقب بالمعتصم بالله في ١٩ رجب (سنة ٢١٨) (١٠ أغسطس سنة ٨٣٣) ولم يزل خليفة إلى أن توفي بمدينة سامرا في ١٨ ربيع الأول (سنة ٢٢٧) (٤ فبراير

سنة ٨٤٢) فكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام.

وكان يعاصره في الأندلس عبد الرحمن الثاني بن الحكم بن هشام رابع أمراء بني أمية بالأندلس (٢٠٦ - ٢٣٨).

ويعاصره في المغرب الأقصى من الإدارة محمد بن إدريس بن إدريس (٢١٣ - ٢٢١) ثم علي بن محمد (٢٢١ - ٢٣٤).

ويعاصره في إفريقية من الأغلبة زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣) ثم الأغلب بن زيادة الله (٢٢٣ - ٢٢٦) ثم محمد بن الأغلب بن زيادة الله (٢٢٦ - ٢٤٢).

ويعاصره في اليمن محمد بن إبراهيم الزيادي الذي ولاه المأمون (٢٠٣ - ٢٤٥).

ويعاصره في خراسان الأمير عبد الله بن طاهر الذي ولاه المأمون (٢١٣ - ٢٣٠).

ويعاصره في مملكة الروم بالقسطنطينية توفيل بن ميخائيل (٨٢٩ - ٨٤٢).

ويعاصره في فرنسا لويز الأول الملقب باللين (٨١٤ - ٨٤٠) ثم شارل الملقب بالأصلع (٨٤٠ - ٨٧٧).

### الأحوال في عهد المعتصم:

بعد أن تمت البيعة للمعتصم ببلاد الروم عاد بالعسكر قاصداً بغداد بعد أن أمر يهدم ما كان المأمون. أمر ببنائه بطوارة وحمل ما كان بها من السلاح والآلة وغير ذلك مما قدر على حمله وأحرق ما لم يقدر على حمله وأمر بصرف من كان المأمون أسكنه ذلك من الناس إلى بلادهم. وكان دخول المعتصم بغداد يوم السبت مستهل رمضان (سنة ٢١٨).

### وزراء المعتصم:

الفضل بن مروان بن ماسرخس. كان رجلاً نصرانياً من أهل البردان وكان متصلاً برجل من العمال يكتب له وكان حسن الخط ثم صار مع كاتب كان للمعتصم قبل أن يتخلف وهذا الكاتب هو يحيى الجرمقاني فلما مات يحيى صير الفضل في موضعه ولم يزل كذلك حتى بلغ المعتصم الحال التي بلغها والفضل كاتبه. لما خرج المعتصم مع المأمون في غزوته الأخيرة وكان الفضل ببغداد بنفذ أمور المعتصم ويكتب على لسانه بما أحب فلما بلغه موت المأمون قام بأمر بيعة المعتصم ببغداد وضبط الأمور حتى قدم المعتصم ببغداد خليفة فعرف له فضل اجتهاده ونشاطه فسلم إليه أمر الخلافة وخلع عليه ورد أموره كلها إليه فغلب عليه بطول خدمته وتربيته واستقل بالأمور ولم يزل على ذلك سنتين فلما بدا للمعتصم استبداده بالأمور نقل عليه. كان يدخل على المعتصم فيقول له احمل إلى كذا وكذا من المال فيقول ما عندي فيقول فاحتلها من وجه من

الوجه فيقول ومن أي أحتالها ومن يعطيني هذا القدر من المال وعند من أجده فكان ذلك يسوء المعتصم ويعرف في وجهه . وكان للمعتصم رجل مضحك اسمه إبراهيم الهفتي كان يصحبه قبل الخلافة فيقول له فيما يداعبه والله لا أفلحت أبداً فلما ولي المعتصم أمر للهفتي بمال وأمر الفضل أن يعطيه إياه فلم يفعل فيينا الهفتي يوماً عند المعتصم بعد ما بنيت له داره التي ببغداد واتخذ له فيها بستان قام المعتصم يمشي في البستان ينظر إليه وإلى ما فيه من أنواع الرياحين والغروس ومعه الهفتي وكان رجلاً مربوعاً ذا كدنة والمعتصم رجلاً معرقاً خفيف اللحم فجعل المعتصم يسبق الهفتي في المشي فإذا تقدم ولم يره التفت إليه فقال مالك لا تمشي يستعجله في المشي فلما كثر ذلك من أمر المعتصم قال له الهفتي مداعباً كنت أراني أماشي خليفة ولم أكن أراني أماشي فيجا والله لا أفلحت - فضحك المعتصم وقال ويلك وهل بقي من الفلاح شيء لم أدركه بعد الخلافة فقال الهفتي أتحب أنك أفلحت الآن إنما لك من الخلافة الاسم والله ما يجاوز أمرك أذنك وإنما الخليفة الفضل بن مروان الذي ينفذ أمره من ساعته فقال المعتصم أي أمر لي لا ينفذ فقال الهفتي أمرت لي بكنا وكذا منذ شهرين فما أعطيت مما أمرت به منذ ذلك حبة فاحتجتها المعتصم على الفضل مع ما سبق له معه فأول ما فعله أن جعل عليه زماماً في نفقات الخاصة وهو أحمد بن عمار الخراساني وزماماً في الخراج وجميع الأعمال وهو نصر بن منصور . ثم زاد الأمر واستفحل فاشتد غضب المعتصم عليه وعلى أهل بيته وأمرهم برفع ما جرى على أيديهم أي تقديم الحساب عما وصل إليهم من المال وعما صرفوه ولما فرغ الحساب أمر بحبس الفضل وأن يحمل إلى منزله ببغداد ثم نفي إلى قرية في طريق الموصل يقال لها السن وبقي كذلك حياة المعتصم قال الصولي في أخبار الوزراء: إن المعتصم أخذ من بيته لما نكبه ألف ألف دينار وأخذ اثاثاً وأتية بألف ألف دينار .

كان الفضل قليل المعرفة بالعلم جيد الكتابة ومن المأثور عنه: لا تتعرض لعدوك وهو مقبل فإن إقباله يعينه عليك ولا تتعرض له وهو مدبر فإن إداره يكفيك أمره واستمرت حياة الفضل بن مروان إلى (سنة ٢٥٠).

واستوزر المعتصم بعد الفضل أحمد بن عمار الخراساني الذي تقدم ذكره فلم يكن فيه كفاية كتابية . ورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه وكان في الكتاب ذكر الكلا فقال المعتصم ما الكلا فقال لا أدري . فقال المعتصم خليفة أمي ووزير عامي (وكان المعتصم ضعيف الكتابة) ثم قال أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد بن عبد الملك الزيات فأدخلوه إليه فقال له ما الكلا - فقال الكلا العشب على الإطلاق فإن كان رطباً فهو الخلا فإذا يبس فهو الحشيش وشرع في تقسيم أنواع النبات فعرف المعتصم فضله واستوزره .

محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات: كان جده أبان رجلاً قروياً من الدسكرة يجلب الزيت من موضعه إلى بغداد فعرف محمد به. نشأ محمد ببغداد فتعلم وتأدب ونال من ذلك حظاً وافراً حتى قيل إن أبا عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب (يعني ابن الزيات) فاسألوه فاعرفوا جوابه فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقعهم عليه. وكان محمد في أول أمره من الكتاب بالديوان فحصلت المسألة التي شرحناها في تاريخ أحمد بن عمار فاستوزره المعتصم فقام بأمر الوزارة خير قيام واستمر وزيراً إلى وفاة المعتصم وخدم الخلفاء بعد ذلك كما يأتي:

وكان محمد بن عبد الملك مع علمه وأدبه ومعرفته بخدمة الملوك شاعراً ظريفاً عده دجيل بن علي في طبقات الشعراء وذكره أبو عبد الله هارون بن المنجم في كتابه البارع ومن رقيق شعره نوله في موت أم ابنه ولايته ثماني سنوات:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه	بعيد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنها غير أمه	بيتان تحت الليل يتجيان
وبات وحيداً في الفراش تجيبه	بلايل قلب دائم الخفقان
فهيني أطلت الصبر عنها لأنني	جليد فمن للصبر بابن ثمان
ضعيف القوى لا يعرف الصبر جسـ	مه ولا يأتي بالناس في الحدان

وقد مدحه الوليد بن عباد الشاعر المعروف بالبحثري بقصيدة مطلعها:

بعض هذا العتاب والتفنيد	ليس ذم الوفاء بالمحمود
يقول فيها واصفاً ما منحه من البلاغة:	

لتفتنت في الكتابة حتى	عطل الناس فن عبد الحميد
في نظام من البلاغة ماش	ك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا	حك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يخد	لنقه عوده على المستعيد
ما أعيرت منه بطون القرا	طيس وما حملت ظهور البريد
متحيل سمع الطروب المعنى	عن أغاني مخارق وعقيد
حجج تخرس الألد بالفا	ظ فرادى كالجوهر المعقود
ومعان لو فصلتها القوافي	هجت شعر جرول وليد

حزن مستعمل الكلام اختياراً  
وركبن اللفظ القريب فأدر  
كالعذارى غدون في الحلل اليه  
قد تلقيت كل يوم جديد  
يثس الحاسدون منك وما مجد  
وإذا استطرفت سيادة قوم  
وذوو الفضل مجمعون على فض  
عرف العالمون فضلك بالعد  
وتجنبين ظلمة التعقيد  
كن به غاية المراد البعيد  
ض إذا رحن في المخطوط السود  
يا أبا جعفر بمجد جديد  
سلك مما يرجوه ظن الحسود  
بنت بالسؤدد الطريف التليد  
سلك من بين سيد ومسود  
لم وقال الجهال بالتقليد

والذي كان يعاب عليه شدته في معاملة العمال الذين يصادرهم لخياتهم في الأعمال وكان إذا قال له أحد منهم أيها الوزير ارحمني قال الرحمة خور في الطبيعة .

أحمد بن أبي دؤاد الإيادي: كان من المعتصم كيجي بن أكثم من المأمون ولذلك سقنا خبره في عداد الوزراء .

أصل بيته فيما يقال من إحدى قرى قنسرين كان أبوه يتجر إلى الشام أما هو فولد بالبصرة (سنة ١٦٠) ونشأ بها في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام وصحب هياج بن العلاء السلمي وكان من أصحاب واصل بن عطاء والغزالي كبير المعتزلة ومقدمهم .

فمال أحمد من أجل ذلك إلى الاعتزال وكان يحضر ببغداد مجلس القاضي يحيى ابن أكثم فلما أمره المأمون أن يختار جماعة من الفقهاء يجالسونه ويبحثون معه كان أحمد في هؤلاء المختارين فكان المأمون إذا شرع أحمد في الكلام ينظر إليه ويتفهم ما يقول ويستحسنه فأمره أن يحضر مجلسه دائماً ولا يتأخر عنه وأحب المأمون جداً وخف على قلبه حتى قال لأخيه المعتصم في وصيته (وأبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك وأشركه في المشورة في كل أمرك فإنه موضع لذلك منك) فولاه المعتصم قضاء القضاة واختص به حتى كان لا يفعل فعلاً باطناً ولا ظاهراً إلا برأيه فكان له في حياة المعتصم مركز لا يدانيه فيه أحد حتى قال أزون بن إسماعيل ما رأيت أحداً قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد وكان يسأل الشيء اليسير فيمنع منه ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيكلمه في أهله وفي الثغور وفي الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب فيجيبه إلى كل ما يريد ولقد كلمه ما مقدار ألف ألف ليحضر بها . أ . أ . اسان فقال المعتصم وما علي من هذا النهر فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يسألك عن النظر في أمر أقصى رعيتك كما يسألك عن النظر في أمر أدناها ولم يزل يرفق به حتى أطلقها .

وقال الحسين بن الضحاك الشاعر لبعض المتكلمين: ابن أبي دؤاد عندنا لا يعرف اللغة

وعندكم لا يحسن الكلام وعند الفقهاء لا يحسن الفقه وعند المعتصم يحسن هذا كله .

كان ابن أبي دؤاد ممن يحبون الخير للناس وله شرف نفس وجمال خلق عربي حتى عرف بالمروءة وكان يحمل في سبيلها ما لا يحمله أحد قال ابن عبيد الرحمن الكلبي : ابن أبي دؤاد روح كله من قرنه إلى قدمه . ومن طريف نوادره في المروءة أن الأفشين كان يحسد أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي للعربية والشجاعة فاحتال عليه حتى شهد عليه بجناية قتل فأخذه وأحضر السيف لقتله وبلغ الخبر ابن أبي دؤاد فخاف إذا هو ذهب إلى المعتصم وكلمه في شأنه أن يكون الكلام بعد فوات الوقت فركب فوراً مع من حضره من العدول ودخل على الأفشين وقد جيء بأبي دلف ليقتل فوقف وقال إني رسول أمير المؤمنين إليك وقد أمرت ألا تحدث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تسلمه إلي ثم التفت إلى العدول وقال اشهدوا أنني أديت إليه الرسالة عن أمير المؤمنين والقاسم حي معافي فقالوا شهدنا وخرج فلم يقدر الأفشين على تنفيذ مراده وذهب ابن أبي دؤاد إلى المعتصم من وقته فقال له يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسالة لم تقلها ما أعنت بعمل خير خيراً منها وإني لأرجو لك الجنة بها ثم أخبره الخير فصوب المعتصم رأيه ووجه من أحضر القاسم فأطلقه ووصله وعنف الأفشين على ما كان عزم عليه .

وكان وجود ابن أبي دؤاد مع المعتصم مما عدل مزاجه لأنه شجاع شديد عجول فكان إذا أسرع إليه الغضب هدأ ابن أبي دؤاد من حديثه وأراه وجه الأناة والعمو فلا يسعه إلا أن يسير في سبيلهما وكان له عليه من الدالة وعلو المركز ما يستعين به على تنفيذ غرضه - غضب المعتصم مرة على خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني وأشخصه من ولايته لعجز لحقه في مال طلب منه فجلس المعتصم لعقوبته وكان خالد قد طرح نفسه على ابن أبي دؤاد فتكلم فيه فلم يجبه المعتصم فلما جلس المعتصم حضر أحمد وهو قاضي القضاة فجلس دون مجلسه المعتاد فقال له المعتصم يا أبا عبد الله جلست في غير مجلسك فقال ما ينبغي لي أن أجلس إلا دون مجلسي هذا فقال له وكيف؟ قال لأن الناس يزعمون أنه ليس موضعي موضع من يشفع في رجل فيشفع - فقال المعتصم ارجع إلى مجلسك . قال مشفعاً أو غير؟ قال بل مشفعاً فارتفع إلى مجلسه ثم قال إن الناس ما يعلمون رضاء أمير المؤمنين إن لم يخلع عليه فأمر بالخلع عليه فقال يا أمير المؤمنين قد استحق هو وأصحابه رزق ستة أشهر لا بد أن يقبضوها وإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة فقال قد أمرت له بها فخرج خالد وعليه الخلع وبين يديه المال وإن الناس ينتظرون الإيقاع به فصاح به رجل الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب فقال له أسكت سيد العرب والله أحمد بن أبي دؤاد . وكان في ابن أبي دؤاد عصبية عربية ولعل هذا أفاد العرب وحفظ لهم شيئاً من مقامهم في عهد المعتصم الذي جعل القوة كلها لغللمان الأتراك الذين استكثر منهم ومن قوادهم .

وكان ابن أبي دؤاد مع ذلك شاعراً أديباً مجيداً فصيحاً بليغاً ذكره دعييل في طبقات الشعراء ومن مأنور قوله: ثلاثة ينبغي أن يبجلوا وتعرف أقدارهم العلماء وولاية العدل والإخوان فمن استخف بالعلماء أهلك دينه ومن استخف بالولاة أهلك دينه ومن استخف بالإخوان أهلك مروءته ولأبي تمام فيه مدائح جليلة منها قصيدته التي مطلعها:

سقى عهد الحمى سيل العهد وروض حاضر منه وباد

يقول فيها:

لقد أفنت ماوي كل دهر محاسن أحمد بن أبي دؤاد  
منى تحلل به تحلل جناباً رضيعاً للواري والغواذي  
ترشح نعمة الأيام فيه وتقم منه أرزاق العباد  
وما اشبهت طريق المجد إلا هذاك لقبلة المعروف هاد  
وما سافرت في الآفاق إلا ومن جدواك راحتني وزادي  
مقيم الظن عندك والأمانني وإن فلقنت ركابي في البلاد  
معاد البعث معروف ولكن ندى كفيك في الدنيا معادي

#### العلويون في عهد المعتصم:

لأول عهده توفي محمد الجواد بن علي الرضا تاسع أئمة الشيعة الإمامية الاثني عشرية وكانت وفاته (سنة ٢٢٠ وسنة ٢٥) وكانت تحت أم الفضل بنت المأمون فحملت إلى قصر عمها المعتصم فتولى الإمامة بعده ابنه أبو الحسن علي الهادي وكانت سنه حين مات أبوه سبع سنين.

وخرج علي المعتصم من الزيدية محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي. كان مقيماً بالكوفة ثم خرج منها إلى الطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ فاجتمع إليه بها ناس كثير فاهتم بأمره عبد الله بن طاهر أمير خراسان وبعث له البعوث فكان بين الفريقين وقعات بناحية الطالقان وجبالها فهزم هو وأصحابه فخرج هارباً يريد بعض كور خراسان كان أهله كاتبوه فلما وصل إلى نسا دل عليه فأخذه عاملها واستوثق منه وبعث به إلى عبد الله بن طاهر فأرسل به إلى المعتصم فحبس بسامرا (سنة ٢١٩) فأقام فيه حتى كانت ليلة الفطر واشتغل الناس بالعيد والتهنئة احتال للخروج بواسطة رجال من شيعته فهرب ولم يعرف له خبر وقد انقاد إلى إمامته كثيرون من الزيدية ومنهم كثير يزعمون أنه لم يمت وأنه حي يرزق وأنه يخرج فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وأنه مهدي هذه الأمة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال

طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان وبقي ذلك الاعتقاد حتى (سنة ٢٣٢) كما قال المسعودي في مروج الذهب.

### الجيش:

قدما ما كان في عهد المأمون من كثرة العناصر الغربية عن الأمة العربية في جيش الدولة العباسية وذلك أمر قضت به الأحوال لذلك العهد كما شرحنا ذلك فلما جاء المعتصم أربى على أسلافه في ذلك فقد كان يغلب عليه من أخلاق الرجال الشجاعة والميل إلى الشجعان: رأى أن من ببغداد من جنود الأبناء لا يوثق بهم لكثرة اضطرابهم وقيامهم على الخلفاء ورأى للأتراك من شدة اليأس والنجدة فأراد أن يكون منهم جيشاً يستعز به على هؤلاء الأبناء ويرغم أنوفهم فاستكثر من غلمان الأتراك وأحضر منهم عدداً عظيماً فوق ما كان منهم في عهد أخيه المأمون وأسكنهم ببغداد واستعنى عن جيوش العرب بمرّة وأسقطهم كافة من الدواوين بحيث لم يبق مرتزق لعهد إلا من كان من الأتراك أو الأبناء إلا أنه اصطنع قوماً من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس وسماههم المغاربة وأتى بكثير من الفراغنة أهل فرغانة والأشروسنية أهل أشروسنة فكثرت جيشه وكان هؤلاء القوم عجماً جفاة يركبون الدواب فيركضون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة والصبي فيأخذهم الأبناء فيكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم فربما هلك من الجراح بعضهم فشكا الأتراك ذلك إلى المعتصم وتأذت به العامة فرأى المعتصم أن بقاء هؤلاء الأتراك في وسط بغداد وبجانب جنود الأبناء خطر عليهم فكان ذلك سبباً لتفكيره في اختطاط حاضرة جديدة له ولهذا الجيش الجديد الذي أعجب به فاخترت سامرا.

وكان المعتصم يلبس هؤلاء الجنود أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وأبانهم بالزي عن سائر جنوده واشتهر منهم قواد اصطنعهم المعتصم ورفع من أقدارهم وجعل بيدهم مستقبل الخلافة الإسلامية وسنذكر بعضهم:

١ - الأفشين حيدر بن كاوس وهو تركي من أشروسنة كورة من بلاد ما وراء النهر شرقيها فرغانة وغربيها سمرقند وشمالها الشاش وبعض فرغانة وجنوبها بعض حدود كش والصفابيان وغيرهما ومدينتها التي يسكنها الولاية بنجكش.

كان حيدر في حاشية المعتصم في حياة المأمون وأصله من أبناء ملوك أشروسنة الذين يلقب الواحد منهم بالأفشين ولما رأى شجاعته وشهامته استعان به فيما ولي من الأعمال وكان المعتصم والياً على مصر والشام فأرسله نيابة عنه لإزالة الاضطراب في برقة ومصر فنجح فيهما. ولما استخلف المعتصم كان الأفشين في مقدمة قواده فعين (سنة ٢٢٠) لحرب بابك كما تقدم ذكره فظهرت على يديه عظام الأعمال وإحكام سير الجيوش حتى ظفر بخصمه مع مناعة موقعه. ولما

أمره المعتصم بالعود إلى سامرا كان يوجه إليه كل يوم من حين فصل من برزند إلى أن وافى سامرا فرساً وخلعة. ولما حضر توجهه وألبسه وشاحين بالجواهر ووصله بعشرين ألف درهم منها عشرة آلاف صلة وعشرة آلاف يفرقها في أهل عسكره وعقد له على السند. ولما غزا المعتصم عمورية كان قائداً لإحدى الفرق الثلاث التي دخلت بلاد الروم وهو الذي تولى حرب توفيل ملك الروم وهزم جنده. كل ذلك الإعظام والإجلال جعل الأفشين يمني نفسه بالملك والاستقلال في بلاده أشروسنة يوماً ما وأول ما عرف ذلك منه أنه كان وهو يحارب بابك لا يأتيه هدية ولا مال إلا وجه به إلى أشروسنة فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر أمير خراسان فيكتب إلى المعتصم يخبره فيكتب المعتصم إلى ابن طاهر يأمره بتعريف جميع ما يوجه الأفشين من الهدايا إلى أشروسنة فيفعل ذلك عيد الله. كان الأفشين كلما نهياً عنده مال حمله أو ساط أصحابه بقدر طاقتهم فكان الرجل يحمل من الألف فما فوقه من الدنانير في وسطه فأخبر عبد الله بذلك. فبينما هو في يوم من الأيام وقد نزلت رسل الأفشين نيسابور ومعهم الهدايا وجه إليهم ابن طاهر وأخذهم ففتشهم فوجد في أواسطهم همياتين فأخذهما منهم وقال لهم من أين لكم هذا المال فقاتلوا هذه هدايا الأفشين وأمواله فقال كذبت لو أراد الأفشين أخي أن يرسل بهذه الأموال لكتب إلي يعلمني به لأبذرقه «أحرسه» لأن هذا مال عظيم وأنتم لصوص فأخذ عبد الله المال وأعطاه جنده وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم وقال أنا أنكر أن تكون وجهت بهذا المال إلى أشروسنة ولم تكتب إلي تعلمني لأبذرقه فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذي يوجه إلي أمير المؤمنين في كل سنة وإن كان المال لك كما زعم القوم فإذا جاء المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك وإن يكن غير ذلك فأمر أمير المؤمنين أحق بهذا المال وإنما دفعته إلى الجند لأنني أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك. فكتب إليه يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد ويسأله إطلاق القوم ففعل ذلك ابن طاهر.

رأى الأفشين أنه لم يتم له أمر ما دام ابن طاهر بخراسان فانتظر الفرص ليحمل المعتصم على عزله وتوليته مكانه وحيث يتسع له المجال. كان ببلاد طبرستان دهقان من أبناء ملوكها اسمه مزيار بن قاون بن ونداهرمز وكان منافراً لآل طاهر لا يحمل إليهم الخراج ويحمله إلى المعتصم فكان إذا وصل المال همذان يأمر المعتصم رجلاً من قبله فيستوفيه ثم يسلمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر ليرده إلى خراسان فكانت هذه الحال بينهما حتى زادت المتافرة وبلغت حداها الأقصى فأراد الأفشين انتهاز هذه الفرصة فكتب إلى مازيار يقويه على خلاف ابن طاهر ويخبره أن المعتصم ولاه إمارة خراسان وأراد الأفشين بذلك أن يخالف مازيار فيولي المعتصم الأفشين حربه ويكون له مع ذلك ولاية خراسان ودعا ذلك مازيار إلى إظهار الخلاف وشق عصا الطاعة وتمتع

الخراج وتحصن بجبال طبرستان. بلغ ذلك عبد الله بن طاهر فوجه إليه عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم إليه جيشاً كثيفاً يحفظ جرجان ووجه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب في جمع كثيف وضم إليه الحسن بن قاري الطبري القائد ومن كان بالباب من الطبرية ووجه منصور بن الحسن صاحب دنهاوند إلى مدينة الري ليدخل طبرستان من ناحية الري. ولم ينتدب الأفشين لشيء مما كان ظن وقد أحاطت هذه الجنود بطبرستان من كل جانب وهزمت جنود مازيار. فرأى أن يستأمن إلى الحسن بن الحسين فاستأمن إليه هو وأخوه قوهيار فأمر عبد الله بن طاهر بتسليم مازيار وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم فحملهم إلى المعتصم بسامرا.

تحقق المعتصم من كل ما بلغه عن الأفشين واطلع على الكتب التي كان أرسلها أخو الأفشين إلى مازيار وعلم الأفشين ذلك فعزم على الهرب وصار يدبر التدابير الشنيعة للفتك بالمسلمين وقد وصل شيء من علم ذلك إلى قائد من القواد الأشروسنية فأخبر به المعتصم فأمر بحضور الأفشين ولما حضر أخذ سواره وحجبه ثم أحضره في مجلس عام لتبكيته ومناظرته وكان الذي تولى ذلك الوزير محمد بن عبد المالك الزيات فثبت من التحقيق أن الرجل لا يزال على كفره وأنه تان يكيد المكائد للوصول إلى ملك بلاده وأن أهل أشروسنة كانوا يخاطبونه باله الآلهة ثم ثبت أنه كان يكاتب المازيار وشهد المازيار أن أخا خاش كتب إلى قوهيار أخي مازيار (إنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك فأما بابك فإنه بحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن دلاه فيما وقع فيه فإن خالفت لم يكن للقوم ما يرمونك به غيري ومعني الفرسان وأهل النجدة والبأس فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة المغاربة والعرب والأتراك والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس وهؤلاء الذباب (يعني المغاربة) إنما هم أكلة رأس وأولاد الشياطين (يعني الأتراك) فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهاميم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه (أيام العجبة) - ولما تبين أمره قال القاضي أحمد بن أبي دؤاد قد وضع لكم أمره فعليك به يا بغا فاعيد إلى محبسه حتى مات وبعد موته أخرج وصلب على باب العامة حتى يراه الناس ثم أحرق مع خشبته.

٢ - إيتاخ: كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرش طباحاً فاشتراه المعتصم (سنة ١٩٩) وكان لإيتاخ رجولة وبأس فرفعه المعتصم وولاه بعد الخلافة معونة سامرا مع إسحاق ابن إبراهيم وكان من قبله رجل ومن قبل إسحاق رجل وكان من أراد المعتصم قتله فعند إيتاخ يقتل ويديه يحبس وولاه المعتصم قيادة إحدى الفرق الثلاث التي دخلت بلاد الروم إلى عمورية وقد استمر إيتاخ على منصب وزعامته مدة الواثق وقتل لأول عهد المتوكل (سنة ٢٣٥) فقي (سنة ١٩٩) اشتري بالمال

وفي عهد الواثق كانت المملكة في يده فكان إليه الجيش والمغاربة والأترك والبريد والحجابة ودار الخلافة - وما الذي بقي بعد هذا .

٣ - أشناس : غلام تركي اشتراه المعتصم ورقاه لما ظهر من شجاعته وكان في غزوة عمورية على مقدمة الجيش واستخلفه مرة على سامرا حينما خرج منها وزاده رفعة (سنة ٢٢٥) بأن أجلسه على كرسي وتوجه ووشحه كما فعل بالأفشين وزوج ابنته أترنجة للمحسن بن الأفشين وأحضر عرسه عامة أهل سامرا وكان يباشر بنفسه تفقد من حضر . وكانت تلك منزلة عند الواثق حتى أنه في (سنة ٢٢٨) توجه وألبسه وشاحين بالجواهر ولم يزل في عظمته حتى توفي (سنة ٢٣٠) .

وغير هؤلاء كان من القواد عجيف بن عنبسة ووصيف وبغا الكبير أبو موسى وغيرهم .

كل هؤلاء قواد من الأترك اختارهم المعتصم لشجاعتهم وسلمهم زمام ملك آباءه وأنزل العرب عما كان لهم من قيادة الجيوش وأسقط أسماءهم من الدواوين واعتز بهؤلاء المجنوبين فجعل بذلك بنيه تحت سلطان هؤلاء الغلف القلوب يتصرفون فيهم كما يشاءون . ومع اغترار المعتصم بهؤلاء القواد كان يحس بما وقع فيه من الخطأ باختيارهم ولا سيما أنه ليس لأكثرهم نسب معروف فقد حدث إسحاق بن إبراهيم أن المعتصم قال له يا إسحاق في قلبي أمر أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة وإنما بسطتك في هذا الوقت لأفشيته لك - نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم اصطنع المأمون طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت وعبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم ير مثله وأنت فأنت والله الذي لا يعتاض منك السلطان أبداً وأخوك محمد بن إبراهيم وأين مثل محمد، وأما أنا فاصطنعت الأفشين فقد رأيت إلى ما صار إليه أمره وأشناس ففشل رايه وإيتاخ فلا شيء ووصيف فلا معنى فيه - فقال إسحاق جعلني الله فذاك أجيب وعلي أمان من غضبك قال قل - قلت يا أمير المؤمنين أعزك الله نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها - فقال يا إسحاق لمقاساة ما مر بي في طول هذه المدة أسهل علي من هذا الجواب .

المعتصم وحده يتحمل تبعه أكثر ما حل بالعباسيين من بعده من اضطراب أمرهم وضعف سلطانهم وما حل بالأمة العربية من غلبة هذا العنصر الغريب على أمرها . لم يكن الرجل بعيد النظر في العواقب وإنما كان شجاعاً جسوراً يحب الشجعان ويعتز بهم مهما كان شأنهم سواء كانت لهم أحساب يحمونها أم ليست لهم أحساب وسواء كان يهمهم شأن الدولة وبقاؤها أم لا؟ وهذا خطأ عظيم يحط بقدر الدول وينزلها من عظمتها .

ومن النتائج التي سببها غطرسة هؤلاء الجنود الغريب وعدم احترامهم لحقوق الأمة ثورة أبي حرب المبرقع اليماني بفسطين . وذلك أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها

وذلك أمر لم يكن معروفاً في الدولة العربية قبل ذلك وكان في الدار إما زوجة أبي حرب وإما أخته فماتته من ذلك فضربها بسوط كان معه فاتقته بذراعها فأصاب السوط ذراعها فأثر فيها فلما رجع أبو حرب إلى منزله شككت إليه ما فعل بها وأرته الأثر فاشتعل سيفه ومشى إلى الجندي وهو غار فقتله ثم هرب وألبس وجهه يرقعاً كيلا يعرف فصار إلى جبل من جبال الأردن فطلبه السلطان فلم يعرف له خبر وكان يظهر بالنهار فيقعد على الجبل الذي أوى إليه متبرقعاً فيراه الرائي فيأتيه فيذكره ويحرضه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر السلطان وما يأتي إلى الناس ويعيبه فما زال ذلك دأبه حتى استجاب له قوم من حراني أهل تلك الناحية وأهل القرى فلما كثرت غاشيته من هذه الطليقة من الناس دعا أهل البيوتات من تلك الناحية فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية منهم رجل يقال له ابن بهس كان مطاعاً في أهل اليمن فاتصل خبره بالمعتصم فبعث إليه رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء ألف رجل من الجند فلما صار إليه وجده في عالم من الناس زهاء مائة ألف فترث رجاء حتى كان أول عمارة الناس الأرضيين وحرانهم وانصرف من كان معه من الحرانيين إلى الحرانية وأرباب الأرضيين إلى أراضيهم وبقي أبو حرب في زهاء ألف أو ألفين فناجزه رجاء وأسره رجل ممن معه ثم سار به إلى المعتصم أسيراً.

### الخراج:

كما يمتاز عصر المأمون بالثبوت الذي نقله العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه عن كتاب جراب الدولة يمتاز عصر المعتصم بالثبوت الذي أورده قدامة بن جعفر في كتاب الخراج له عن مقدار الجباية في عهد المعتصم ونحن نورد خلاصته:

مقدار الجباية بالدرهم	الجهة
أو الدينانير	
١١٤٥٦٧٦٥٠ درهم	سواد العراق
٢٣٠٠٠٠٠٠٠ درهم	الأهواز
٢٤٠٠٠٠٠٠٠ درهم	فارس
٦٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم	كرمن
١٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم	مكران
١٠٥٠٠٠٠٠٠٠ درهم	أصبهان
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم	سجستان
٣٧٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم	خراسان
٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم	حلوان

درهم	٩٨٠٠٠٠٠	الماهين
درهم	١٧٠٠٠٠٠	همدان
درهم	١٢٠٠٠٠٠	ماسبذان
درهم	١١٠٠٠٠٠	مهرجان قذق
درهم	٣١٠٠٠٠٠	الإيغارين
درهم	٣٥٠٠٠٠٠	قم وقاشان
درهم	٤٠٠٠٠٠٠	أذربيجان
درهم	٢٠٠٨٠٠٠٠	الري وديباوند
درهم	١٨٢٨٠٠٠	قزوين وزنجان وأبهر
درهم	١١٥٠٠٠٠	قومس
درهم	٤٠٠٠٠٠٠	جرجان
درهم	٤٢٨٠٧٠٠	طبرستان
درهم	٩٠٠٠٠٠٠	تكريت والطبرهان
درهم	٢٧٥٠٠٠٠	شهرزور والصامغان
درهم	٦٠٠٠٠٠٠	الموصل وما إليها
درهم	٣٢٠٠٠٠٠	قردي وبازبدي
درهم	٩٦٢٥٠٠٠	ديار ربيعة
درهم	٤٢٠٠٠٠٠	أرذن وميافارقين
درهم	١٠٠٠٠٠٠	آمد
درهم	٢٠٠٠٠٠٠	ديار مصر
درهم	٦٠٠٠٠٠٠	أعمال طريق الفرات
درهم	٢٩٠٠٠٠٠	
درهم	٣١٤٢٧١٣٥٠	المجموع

دينار	٣٦٠٠٠٠٠	قنسرين والعواصم
دينار	٢١٨٠٠٠٠	جند حمص
دينار	١١٠٠٠٠٠	جند دمشق
دينار	١٠٩٠٠٠٠	جند الأردن

جند فلسطين	٢٩٥٠٠٠٠	دينار
مصر والإسكندرية	٢٥٠٠٠٠٠٠	دينار
الحرمين	١٠٠٠٠٠٠	دينار
اليمن	٦٠٠٠٠٠٠	دينار
اليمامة والبحرين	٥١٠٠٠٠٠	دينار
عمان	٣٠٠٠٠٠٠	دينار

دينار ٥١٠٢٠٠٠

وذلك غريب مما كان في حياة المأمون لأن الأحوال لم تتغير تغيراً يذكر .

### العلاقات الخارجية:

قدمنا أن الذي كان يعاصر المعتصم من ملوك الروم توفيل بن ميخائيل وكان ينتهز الفرص ليقوم من المسلمين الذين دوخوه وألزموه أن يدفع الفدية قهراً فحدث أنه لما كان الأفشين يحارب بابك وقد ضيق عليه أن كتب بابك إلى ملك الروم يقول: إن ملك العرب قد وجه معظم عساكره إلي ولم يبق علي بابك أحد فإن أردت الخروج إليه فليس في وجهك أحد يمنعك وكان يطمع أن ملك الروم إذا تحرك ينكشف عنه بعض ما هو فيه فلم يلبث توفيل أن خرج في مائة ألف مقاتل حتى أتى زبطرة ومعه جمع من الصحرة الذين أجلاهم إسحاق بن إبراهيم عن الجبال كما ذكرنا ذلك في حروب اليباكية فلما دخل زبطرة قتل من فيها من الرجال وسبى النساء والذرية وأحرق المدينة ومضى من فوراه إلى ملطية فأغار على أهلها وعلى أهل حصن من حصون المسلمين وسبى من الصلحات فيما قيل أكثر من ألف امرأة ومثل بمن صار في يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع أذانهم وآنافهم . بلغت تلك الأخبار المعتصم بسامرا فاشتد عليه وصاح في قصره النفير ثم ركب دابته وسقط خلفه شكالاً وسكة حديد وحقيبة فلم يستقم له الخروج إلا بعد التعبئة ولكنه أرسل مقدمته لتكون مدداً لأهل زبطرة فلما شارفتها وجدت ملك الروم قد رحل عنها فوقفوا قليلاً حتى تراجع الناس إلى قرامهم واطمأنوا .

فلما انتهى أمر بابك سأل المعتصم أي بلاد الروم امنع وأحسن فقبل عمورية وهي مسقط رأس توفيل كما أن زبطرة مسقط رأس المعتصم ولم تكن غزيت قبل ذلك فتجهز المعتصم جهازاً لم يتجهزه خليفة قبله من السلاح والعدد والآلة وحياض الأدم والبنغال والروا والقرب وآلة الحديد والنفط وكانت التعبئة هكذا - على المقدمة أشناس ويتلوه عمد بن إبراهيم المصعبي وعلى الميمنة إيتاخ وعلى الميسرة جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط وأمر الأفشين أن يمضي فيدخل

بلاد الروم من درب الحدث وسمى له يوماً أمره أن يكون وصوله فيه إلى أنقرة وقدر هذا اليوم بنفسه لأشناس الذي أمره أن يكون دخوله من درب طرسوس. ولما وصل أشناس إلى مرج الأسقف ورد عليه كتاب من المعتصم يأمره بالتوقف لأنه بلغه عن ملك الروم أنه على نهر اللامس ويريد العبور ليكبس أشناس وجنده فأقام بالمرج ثلاثة أيام ثم علم بواسطة الجواسيس أن ملك الروم ارتحل عن نهر اللامس يريد مقابلة الأفشين فأرسل بخبر ذلك إلى المعتصم فبعث الأدلاء مسرعين يخبرون الأفشين بذلك وأمره أن يقف مكانه حذراً من مواجهة ملك الروم قبل أن تجتمع الجيوش فلم تصل هذه الأدلاء إلى الأفشين فتم على مسيره حتى التقى بملك الروم فكانت بينهما موقعة هائلة كانت على الأفشين أول النهار ثم أعاد الكرة في الفرسان فغلب ملك الروم وهزمه هزيمة منكرة وتفرقت عنه الجنود. أما عسكر أشناس والمعتصم فإنهما وردا أنقرة من غير أن يلقيا حرباً لتفرق الجنود التي كان الملك قد جعلها لمحاربة المعتصم ثم ورد الأفشين بعد مقدمهما بيوم أنقرة.

وحينئذ قسم المعتصم الجيش ثلاثة أقسام قسم فيه أشناس في الميرة وقسم فيه المعتصم وهو القلب وقسم فيه الأفشين وهو الميعة وبين كل قسم فرسخان فسارت هذه الأقسام على تعبئة وسارت هذه الأقسام حتى بلغت عمورية وبينها وبين أنقرة سبع مراحل كان أول من وردها أشناس فدار حولها دورة ثم نزل على ميلين منها وجاء بعده المعتصم فدار حولها دورة ثم جاء الأفشين فكذلك تحصن أهل عمورية وتحرزوا فحصرها الجيش المعتصمي وكان لكل واحد من القواد أبراج على قدر أصحابه قلة وكثرة ونصبت المجانيق فضربت بها الأسوار لإتلافها حتى سقط منها جانب في ناحية المعتصم بعد معاناة شديدة وأعمال جسام ثم حصل القتال في ناحية هذه الثلثة بعد أن ردمت الخنادق ولم يزل القتال مستمراً حتى اقتحم المسلمون عمورية عنوة وغنموا منها مغانم كثيرة. وانتقم المعتصم من الروم بما فعلوه في زبطرة وملطية وبعد انتهاء الواقعة عاد المعتصم إلى طرسوس وكانت إناخته على عمورية في (٦ رمضان سنة ٢٢٣) وقفل عنها بعد (٥٥ يوماً).

ومن غريب الأمور وأكبر الجرائم أن العباس بن المأمون اتفق مع بعض قواد المعتصم من الأتراك على أن يغتالوا المعتصم ويقيموه خليفة مقامه، تأمروا على ذلك وهم في وجه العدو والعهد قريب باصطناع المعتصم لهم وإغداق النعم عليهم فلم يتم لهم غرض واطلع المعتصم على سر مؤامرتهم فأخذ جميع أولئك القواد وقتلهم وحبس العباس حتى مات من شدة الأذى وكان الذي تولى كبر ذلك عجيف بن عنبسة.

ولما ورد المعتصم سامرا كان دخوله إليها يوماً مشهوداً وامتدحه أبو تمام حبيب ابن أوس بقصيدته المشهورة التي أولها:

السيف أصدق أنباء من الكتب

يقول فيها:

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به  
فتح تفتح أبواب السماء له  
يا يوم وقعة عمورية انصرفت  
أبقيت جد بني الإسلام في صعد  
أم لهم لورجوا أن تفتدي جعلوا  
وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها  
من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد  
بكر فما افترعتهما كف حادثة  
حتى إذا مخض الله النين لها  
أنتهم الكربة السوداء سادرة  
جرى لها الفأل نحساً يوم أنقرة  
ولما رأت أختها بالأمس قد خرجت  
كم بين حيطانها من فارس بطل  
بنة السيف والخطى من دمه  
لقد تركت أمير المؤمنين بها  
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى  
حتى كأن جلابيب الضحى رغبت  
ضوء من النار والظلماء عاكفة  
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت  
تصرح الدهر تصریح الغمام لها  
ويقول في ختامها:

خليفة الله جازى الله سعيك عن  
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها  
إن كان بين صروف الدهر من رحم  
فبين أيامك اللاتي نصرت بها  
أبقت بني الأصفر المصفر كاسمهم

في حده الحد بين الجد واللعب

نظم من الشعر أو نشر من الخطب  
وتبرز الأرض في أثوابها القشب  
عنك المنى حفلا معسولة الحلب  
والمشركين ودار الشرك في صيب  
فداءها كل أم برة وأب  
كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب  
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب  
ولا ترقت إليها همة النوب  
مخض الحلية كانت زبدة الحقب  
منها وكان اسمها فراجة الكرب  
إذ غودرت وحشة الساحات والرحب  
كان الخراب لها أعدى من الحرب  
قائمي الذوائب من آني دم سرب  
لا سنة الدين والإسلام مختضب  
للنار يوماً ذليل الصخر والخشب  
يقله وسطها صبح من اللهب  
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب  
وظلمة من دخان في ضحى شحب  
والشمس واجبة في ذا ولم تجب  
عن يوم هجاء منها طاهر جنب

جرثومة الدين والإسلام والحسب  
تنال إلا على جسر من التعب  
موصولة أو ذمام غير مقتضب  
وبين أيام بدر أقرب النسب  
صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

**صفات المعتصم:**

كانت أظهر صفات المعتصم الشجاعة والإقدام وشدة البأس وكان يحب العمارة ويقول: إن فيها أموراً محمودة فأولها عمران الأرض التي يحيها العالم وعليها يزكو الخراج وتكثر الأموال ويعيش البهائم وترخص الأسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة عشر درهم فلا تؤامرني فيه. ولم يكن للمعتصم نفوذ في العلم كأخيه المأمون ولا كأبيه الرشيد وإنما كان همه الجيش وتحسينه.

ومن آثاره اختطاط مدينة سامرا وها نحن أولاء نقص شيئاً من أمرها.

لما ضاقت بغداد عن عسكر المعتصم من الأتراك قال لأحد كتابه: إني أتخوف أن يصيح هؤلاء الحرية صيحة فيقتلوا غلماني فإذا ابتعت لي موضع سامرا كنت فوقهم فإن رابني رائب أتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم فقصده كاتبه موضع سامرا وهو على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً (١٥٠ كيلومتراً) فابتاع ديراً كان هناك بخمسة آلاف درهم وابتاع بستاناً كان في جانبه بمثل ذلك ولما تم أمر البيع خرج المعتصم في آخر (سنة ٢٢٠) حتى نزل القاطول وهو نهر سامرا كان احتفراه الرشيد وبني عليه قصرأ فنزل المعتصم هناك وبدأ بالبناء (سنة ٢٢١) فبنى داراً له وأمر عسكره بمثل ذلك فعمر الناس حول قصره وبني مسجداً جامعاً في طرف الأسواق وأنزل أشناس بمن ضم إليه من القواد كرخ سامرا وهو كرخ فيروز. وما زال البنيان يتسع حتى صارت مدينة من أعظم الحواضر الإسلامية وكادت تضارع بغداد وأعظم اتساع وحضارة لها كان في عهد المتوكل بن المعتصم وسيذكر ذلك بعد.

**وفاة المعتصم:**

احتجم المعتصم في أول يوم من المحرم (سنة ٢٢٧) فأصيب عقب ذلك بعلته التي قضت عليه يوم الخميس لثمانية ليال مضت من شهر ربيع الأول من تلك السنة ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات فقال:

قد قلت إذ غيبوك واصطفقت عليك أيد بالتراب والطين  
أذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا ونعم الظهير للدين  
لا جبر الله أمة فقدت مثلك إلا بمثل هارون

**ولاية العهد:**

ولى المعتصم عهده ابنه هارون ولم يجعل معه في الولاية غيره.